الفصل الأول

مدخل إلى تدريس التربية الإسلامية

- تعريف عام بالإسلام.
- الإسلام والتربية.
- مفهوم التربية الإسلامية.
- مصادر التربية الإسلامية.
- أسس التربية الإسلامية.
- خصائص التربية الإسلامية.
- أهمية التربية الإسلامية.

:

مدخل إلى تدريس التربية الإسلامية

يتطلب التوصل إلى تحديد معنى التربية الإسلامية، والوقوف على طبيعتها، من جميع جوانبها، التعريف العام بالإسلام وعلاقته بالتربية.

تعريف عام بالإسلام

الإسلام لغة هو الطاعة والإنقياد، وشرعاً هو إظهار الخضوع والقبول والإنقياد لما أتى به محمد صلى الله عليه وسلم، والقيام بالأعمال الظاهرة من التلفظ بكلمتي الشهادة، والإتيان بالواجبات، والإنتهاء عن المنهيات (أنيس وزملاؤه، 1972، 446/1)(التهانوي، 1998،414/2). فالإسلام دين إلهي إختتم الله به الشرائع السابقة، بدءاً من آدم عليه السلام، وله جانبان أساسيان هما: العقيدة والشريعة (شلتوت،د.ت،21) أي الإيمان والعمل (سابق، 1978، 7). فالإيمان يشمل العقيدة، في حين يشمل العمل الشريعة، والإيمان والعمل، أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر إرتباطاً وثيقاً.

ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتي العمل مقترناً بالإيمان في أكثر آيات القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الكهف :آية 107-108)

ويتبين مما سبق، أن العقيدة هي الأساس الذي تقوم عليه الشريعة، فلا يتأتى وجود الشريعة بدون العقيدة، كما لا يتأتى وجود العقيدة بدون الشريعة، فمهما أمران متلازمان لا يجوز الفصل بينهما، فمن آمن بالعقيدة لا بد أن يؤمن بالشريعة، ومن عمل بالشريعة، فلا بد أن يربطها بالعقيدة، وإلا تصبح الشريعة مجرد قوانين لحل مشاكل الناس كأي قانون آخر وضعه البشر، ويتبين أيضاً أن العقيدة هي أول ما يطلب من الإنسان الإيمان به، أما الشريعة فهي النظم والأحكام التي شرعها الله حتى يعمل الإنسان بها لتنظيم علاقته بالله ، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالحياة بجميع جوانبها (هندي،42،2002).

والإسلام الذي جعله الله تعالى كلمة الهداية الأخيرة للناس، وخاتم الديانات والرسالات، ورسوله ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، هو دين ومنه دولة ونظام حياة، فهو ليس ديناً كهنوتياً منحصراً في جملة من الطقوس أو العبادات، بعيداً عن الحياة والتفاعل مع أحداثها: ولذلك كانت له خصائصه وسماته الفريدة المتميزة وهي: الربانية، الإنسانية والعالمية، الشمول والتكامل، الإستمرارية ، التوازن، الوضوح، الواقعية (القرضاوي، 1977،7). وفوق ذلك، فهو يؤكد على الأخلاق والقيم والفضائل ويجعلها أحكاماً شرعياً يثاب فاعلها ويعاقب تاركها،

ويدعو إلى الصلاح في الدنيا والفلاح في الآخرة، وتطوير حياة الناس وتوفير مقومات التنمية والسعادة لها، بعيداً عن الحرمان والظلم والشقاء.

إن طبيعة الإسلام وخصائصه المشار إليها، كفيلة أن تجعل من هذا الدين منهجاً صالحاً لتربية البشرية، فهو يتضمن في أصوله ومضمونه القواعد والمتطلبات الأساسية لتربية الناس وإصلاح أحوالهم الفردية والإجتماعية، وهو ما يؤكد دلالاته التربوية وضرورته في الحياة، بعد فشل الممارسات التربوية التي لا تستند في كثير من جوانبها إلى ما يستند إليه الإسلام. فما علاقة الاسلام بالتربية؟ وما دلالاته التربوية؟.

الإسلام والتربية

لا يمكن للإسلام أن يبلغ ما يرمي إليه، وتحقيق ما يهدف إليه، إلا من خلال ترجمة ما جاء فيه من مبادئ وأحكام وتعاليم وقيم إلى واقع حي، يتمثله الأفراد في سلوكهم القولي والعملي. وهذا يعني الحاجة إلى تغيير سلوك الأفراد وفقاً للإسلام، وهذا التغيير لا يتم إلا بإعداد الإنسان وتنمية شخصيته بشكل كامل، وعملية الإعداد والتنمية هذه تسمى التربية، وبذلك يتضح الإرتباط الوثيق بين الإسلام والتربية.

وليس غريباً أن يكون الإسلام دين تربوي، فهو دين التحلية والتخلية، بمعنى أنه يستهدف تحلية الأفراد بالسمات العقلية والنفسية والمزاجية التي تتفق مع منهج الله، وتخليهم عن كل ما يخالفها من قول وعمل، ولم يكن غريباً أيضاً أن ترافق التربية الدعوة الإسلامية منذ لحظاتها الأولى، فعلى يد الله الخالق كانت تربية الرسول الكريم وإعداده لحمل الرسالة، وعلى يد الرسول الكريم كانت تربية المسلمين في الجزيرة العربية وخارجها بعد ذلك (عبود،1977،156). وتبدو دلالات الإسلام التربوية بشكل واضح من خلال ما له من أهمية ودور في حياة الفرد والمجتمع، كما عرضها الباحثون في كتاباتهم، منها: "إن الدين عامل مهم في حياة الفرد النفسية، وعنصر أساسي في نمو شخصيته بصفة عامة، وفي نمو ذاته الأخلاقية بصفة خاصة" (فهمي،1975،31). ويتبين مما سبق، أن للإسلام نظرة تربوية، تشكل الإطار العام للتربية التي تقوم على أساسه وهي التربية الإسلامية.

ويحسن بنا قبل الشروع في تحديد مفهوم التربية الإسلامية، أن نبين معنى التربية لغة وإصطلاحاً.

تعريف التربية

تعود كلمة تربية في اللغة، كما تشير المعاجم والقواميس اللغوية، إلى أصول ثلاثة (الباني،1983) وهي:

الأصل الأول: ربا، يربو، بمعنى زاد ونما، وجاء هذا في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ (البقرة: آية 276).

الأصل الثاني: ربَي، يَرْبي- بوزن خفى يخفي- بمعنى نشأ وترعرع.

الأصل الثالث: ربَّ، يربُّ بمعنى أصلحه، وتولى أمره، وساسه وقام عليه ورعاه، وجمعه وطيبه وجوّده.

وبذلك تكون معاني التربية في اللغة هي: الزيادة، والنمو، والنشوء، والترعرع ، والإصلاح، وتولي الأمر، والسياسة، والقيام على الشيء، والرعاية، والمحافظة، والتغذية (إبن منظور، 1997) وتستعمل مجازاً بمعنى التهذيب وعلو المنزلة، فيقال فلان في رباوة قومه اي في أشرافهم (الزمخشري،د.ت 153) وتستعمل بمعنى حسن القيام على الولد وسياسته، يقال رب ولده والصبي يربه، أي أحسن القيام عليه، وساسه حتى أدرك وفارق الطفولة(الزبيدي، د.ت) وتستعمل بمعنى علو الشأن والإرتفاع (الفيروز أبادي،1952) وتستعمل بمعنى الإصلاح والتدبير، فالرب هو المصلح والمدبر والجابر والقائم، ويقال لمن قام بإصلاح شيء وتنميته قد ربه يربه فهو رب له. ومنه سمي الربانيون لقيامهم بالكتب. والرب إسم الله الأعظم، لما يشير هذا الوصف من الصلة بين الرب والمربوب (المخلوق) مع ما يتضمنه من العطف والرحمة والإفتقار في كل حال، فالله تعالى هو المدبر لخلقه ومربيهم.

واستخدم القرآن الكريم كلمة التربية أحياناً بمعنى التزكية والتعليم والتطهير، فعلى سبيل المثال قال تعالى﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ (البقرة: آية 151). أو بمعنى التطهير والإنماء في قوله تعالى:﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (التوبة: آية 103). كما تأتي التربية بمعناها العام الشامل في قوله تعالى﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (الإسراء : آية24).

ولم يعالج المربون المسلمون في كتاباتهم موضوع التربية تحت كلمة (التربية) وإنما إستخدموا كلمات أخرى بدلاً منها وهي:

- الإرشاد، في رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي.

- التهذيب، في كتاب تهذيب الأخلاق لابن مسكويه.
- السياسة، في كتاب سياسة الصبيان لأبن سينا.
- التأديب، في كتاب تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبوا الإطفال لابن حجر الهيثمي.
- التعلم، في كتاب تعليم المتعلم طرق التعلم لبرهان الدين الزرنوجي. وتعد كلمة التعليم أكثر الكلمات إستخداماً في مجال التربية ولا تزال، غير أن كلمة التربية أعم وأشمل منها، لأنها تهتم بجميع جوانب شخصية الفرد، في حين أن كلمة التعليم تركز على الجانب العقلي فقط.

أما التربية اصطلاحاً فقد اعتمد معناها الاصطلاحي على معناها اللغوي، حيث إصطلح المربون والفلاسفة على معان عديدة للتربية، وقبل أن نذكر بعضاً من هذه المعاني الإصطلاحية، نذكر أن المربين المسلمين السابقين إشتقوا تعاريف عديدة للتربية من أصولها اللغوية، منها:

- تعريف القاضي الأصفهاني: إنشاء الشيء حالا فحالاً إلى حد التمام.
- تعريف الإمام البيضاوي: تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً.
- تعريف ابن سينا: إبلاغ الذات إلى كمالها الذي خلقت له.
- تعريف محمد عبدالله درازر: تعهد الشيء ورعايته بالزيادة والتنمية والتقوية، والأخذ به في طريق النضج والكمال الذي تؤهله له طبيعته.

(يالجن، 1986).

ومن التعاريف الإصطلاحية للتربية:

- عملية مقصودة يتم عن طريقها توجيه الأفراد الإنسانيين لنمو الأفراد الإنسانيين (فينيكس،1982).
- كل ما نقوم به من أجل أنفسنا، وكل ما يقوم به الآخرون من أجلنا بغية التقرب من كمال طبيعتنا (عبد الدائم، 1975).

تحليل التربية إلى عناصرها

استنبط عبد الرحمن الباني من الأصول اللغوية لكلمة التربية ، ومما قاله الأصفهاني

والبيضاوي أن التربية تتكون من العناصر التالية:

1- المحافظة على فطرة الناشئ ورعايتها.

2- تنمية مواهبه وإستعداداته كلها، وهي كثيرة متنوعة.

3- توجيه هذه الفطرة وهذه المواهب كلها نحو صلاحها اللائق بها.

4- التدرج في هذه العملية. وهو ما يشير إليه الأصفهاني بقوله.... "حالاً فحالاً" والبيضاوي بقوله ... "شيئاً فشيئاً".

واستخلص الباني من هذه العناصر نتائج أساسية في فهم التربية:

الأولى: إن المربي الحق على الإطلاق هو الله تعالى، لأنه هو الخالق، خالق الفطرة وواهب المواهب، وهو الذي سن سنناً لنموها وتدرجها وتفاعلها، كما أنه شرع شرعاً لتحقيق كمالها وصلاحها وسعادتها.

الثانية: إن التربية لا بد أن تستضيء بنور الشريعة الإلهية، وتسير وفق أحكامها.

الثالثة: إن التربية عملية هادفة لها أغراضها وأهدافها وأسسها وغاياتها.

الرابعة: إن التربية تقتضي خططاً متدرجة، والأعمال التربوية والتعليمية تسير وفق ترتيب منظم صاعد، ينتقل مع الناشئ من طور إلى طور، ومن مرحلة إلى مرحلة.

الخامسة: إن عمل المربي تال وتابع لخلق الله وايجاده، وتابع لشرع الله ودينه وأحكامه.(الباني،1983،12-14).

مفهوم التربية الإسلامية

يتبين من الدراسات التربوية المعاصرة أن مفهوم التربية الإسلامية لم يكن موضع إتفاق بين الباحثين، فمفهوم التربية الإسلامية على خلاف التاريخ أو الجغرافيا أو الإقتصاد أو غيرها من العلوم الإنسانية وغير الإنسانية أمر مختلف فيه، و ليس من السهولة واليسر تحديده (علي،1997، 103). لهذا ينظر إلى التربية الإسلامية من جوانب عديدة: مقررات المواد الإسلامية في المدارس، تاريخ التعليم أو تاريخ المؤسسات التعليمية أو تاريخ أعلام الفكر التربوي والتعليمي في العالم الإسلامي، تعليم العلوم الإسلامية، نظام تربوي مستقل ينبثق من التوجهات والتعاليم الإسلامية الأصلية، ويختلف عن النظم التربوية الأخرى شرقية أو غربية (يالجن،1986،23)، ويلاحظ من هذه الجوانب، أن الثلاثة الأولى منها تسود فيها فكرة التعليم